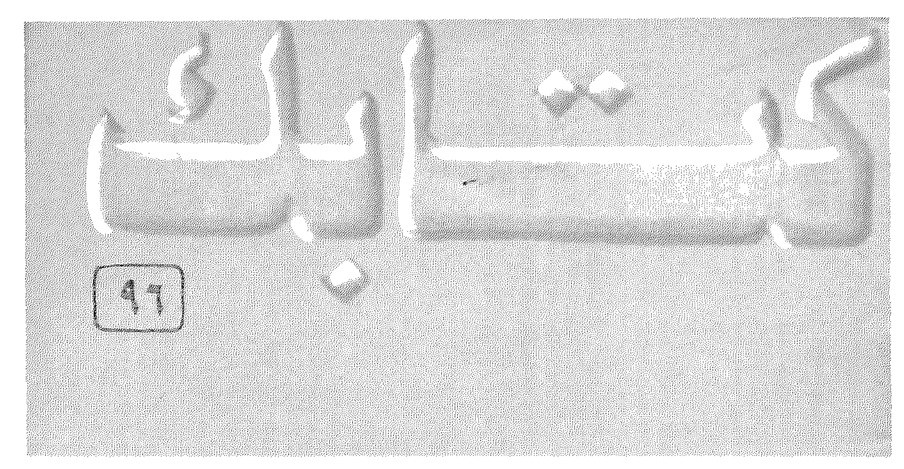


د. مختار الوكيل

سفراء النبى عليه السلام وكتابه ورسائله

دار المعارف

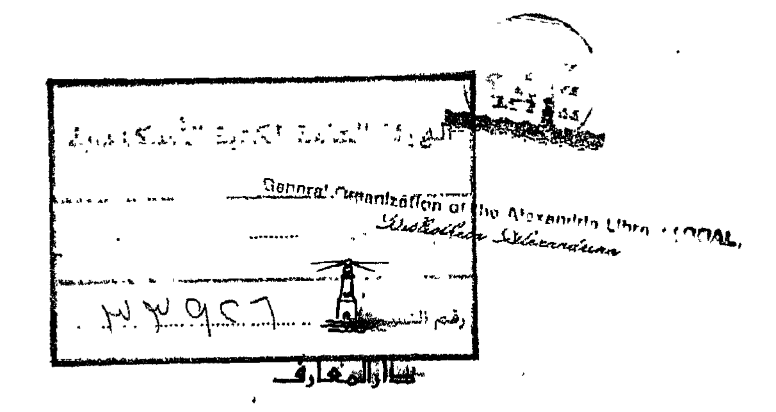


اقرأ ٩٦

رئيس التحرير أنيس منصور

د. مختار الوكيل

سفراء النبى عليه السلام وكتابه ورسائله



دار المعارف

الناشر : دار المعارف — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الكريم

وبعد فقد نزعت النفس منذ زمن إلى التعلق بشخصية الرسول الكريم ؛ ومن ثم أخذت أتتبع عن قرب ذلك النور المحمدى المتألق الفياض الذى أنار الله به ظلمات هذا الكون بتلك الرسالة الخالدة . وبذلك القرآن العظيم الذى أوحى به الله إلى عبده ورسوله الأمين .

وكان من أهم ما استرعى انتباهى تلك الرسائل الملهمة التى وجهها رسولنا العظيم إلى الملوك والعظماء ، يدعوهم فيها إلى الدخول فى الإسلام : وهى الرسائل التى حملها رسل النبى . أولئك السفراء الكرام الذين بلّغوا رسائل النبى فى إخلاص وأمانة ودراية وحكمة وإقناع .

وكانت هذه الرسائل النبوية الشريفة طليعة الدعوة الإسلامية الباهرة التى سرعان ما ملأت أرجاء الدنيا . وكتبت للإسلام النصر المؤزر والفتح المبين .

ولقد رأيت أن أكتب للشباب هذه الرسالة عن كتب النبىّ وكتّابه وديوانه حتى يقفوا ولو بصورة سريعة مختصرة على قبس من ذلك النور

المحمدىّ الباهر الذى أنعم الله به على هذا الوجود .

ويالفرط سعادتنا نحن الذين ننعم ونمرح فى هذا النور المُحَمَّدِىِّ الشريف !

فإليك يا سيدى يا رسول الله أقدم فى تواضع وخشية وخشوع هذه الصفحات ، يشفع لى فيها الصدق والإخلاص ، آملاً أن تظفر منك يا سيدى بالرضا والقبول ،

وأنال بها من الله العفو والمغفرة . .

الدكتور / مختار الوكيل

أهمية الكتّاب والسفراء

فى مضمار الدعوة الإسلامية

من الموضوعات الهامة فى جهاد النبىّ محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فى ميدان الدعوة الإسلامية المباركة – موضوع كتّابه ورسائله وسفرائه ، وهو موضوع يكشف لنا عن جانب من جوانب هذه الشخصية العظيمة الجليلة التى بهرت العالم برسالتها الخالدة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

* * *

ولقد سجّل عظماء الغرب وأقطابه ومفكّروه الفطاحل اعترافات صريحة صادقة بعظمة الرسول الأعظم وعظمة رسالته الباقية على مرّ الدهور ، ومن هؤلاء ، فولتير وروسو وكارليل وبرناردشو وجيته ونابليون .

ولقد أثر عن نابليون قوله : «آمل أن أجمع وأوحّد كل العقلاء والمثقفين من مختلف بلاد الأرض وأقيم نظاماً موحّداً على أسس القرآن ومبادئه ، فهى وحدها المبادئ الحق التى يمكن أن تقود البشر إلى السعادة ! »

وقال برناردشو عن دين الإسلام الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام : « سيكون هذا الدين مقبولاً غداً ، كما بدأ الناس اليوم يقبلونه فى أوربا » .

وقال عنه جيته الشاعر الألمانى الكبير : « إذا كان هذا هو الإسلام أفلسنا جميعاً نتفيأ ظلاله ؟ » .

سفراء فوق العادة !

وكتابة الرسائل وإيفاد الرسل أمر معروف منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب . ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من الاتصالات الدولية ، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة ، وعرفه من قبل قدماءالمصريين . ثم أخذ يتطور ويتأهل تدريجاً فى العصور المتأخرة حتى أصبح من أهم ضروب الاتصالات الدبلوماسية المعروفة فى العصور الحديثة : فالملوك والرؤساء يوفدون الشخصيات الممتازة فى مهام معينة حاملين رسائل موجهة إلى ملوك الدول المختلفة ورؤسائها ، تنطوى على آراء أو مطالب معينة . ولهؤلاء الرسل أو من يدعونهم اليوم (السفراء فوق العادة) — وهم غير السفراء الذين يمثلون بلادهم عادة فى تلك البلاد — حصاناتٌ دبلوماسية ، فلا يستطيع أحد أن ينالهم بسوء ، مهما كان مضمون الرسائل التى يحملونها .

ويختار هؤلاء السفراء فوق العادة من بين الأشخاص الذى يتميزون بالعلم الواسع والذكاء الخارق والسمعة الطيبة والمظهر اللائق والرونق الشائق والمنطق اللطيف والبديهة الحاضرة . حتى يكون لكلامهم أجمل وقع . ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه .

والنبىّ العظيم – صلوات الله وسلامه عليه – قد أقبل على هذه الدنيا برسالته الخالدة التى غيرت وجه التاريخ . وستظل تحمل نور القرآن الكريم أبد الآبدين .

ولقد ميّز الله نبيه العظيم بميزة كريمة فبعثه أمياً . وهو الذى اصطفاه سبحانه لتلقى القرآن . ولتبليغه للناس أجمعين .

ومع ذلك فقد عرف العرب منزلة الكتابة حتى فى الجاهلية : وإن قلت حاجتهم إليها فى معاشهم . ولذلك كان عدد الذين أتقنوا الكتابة فى الجاهلية قليلاً .

وروى الواقدى أن الذين كانوا يعرفون الكتابة فى المدينة أحد عشر شخصاً . ومهما يكن من شىء فقد كانت الأمية هى الغالبة على أهل الجزيرة العربية .

الكتّـاب

وكان هذا النبى الأمى العظيم يتلقى آيات القرآن الكريم من جبريل عليه السلام ، ثم يرددها على أصحابه وأتباعه وأنصاره . وكان كتّاب الوحى يسجلون ما يسمعون من النبىّ الكريم من آيات القرآن العظيم .

وكان كتاب الوحى كثيرين ، ولكن أهمهم – كما جاء فى كتاب (أنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الملوك والأمراء) هم عثمان ابن عفان وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما ، فإن غابا كتب أبيّ ابن كعب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما .

وذكرت مصادر كثيرة منها كتاب (الاستيعاب) أن أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت كانا ألزم الصحابة لكتابة الوحى .

هذا عن كتّاب الوحى .

أما رسائله الشريفة فقد أوصل ابن عساكر فى (تاريخ دمشق) كتّابها إلى ثلاثة وعشرين كاتباً ، وترجم لهم فى نهجه الحافل فأوصلهم إلى خمسة وعشرين : ومنهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلى بن أبي طالب وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الأرقم وأبيّ بن كعب وثابت بن قيس بن شماس وخالد بن سعيد بن العاص وأخوه حيّان ، وحنظلة بن أبي عامر الأسدى وزيد بن ثابت ومعاوية

ابن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، والزبير بن العوام والمغيرة بن شعبة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الله بن رواحة ، وعبد الله بن سعيد بن أبي السرح وطلحة ابن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص والعلاء بن الحضرمى ، وحويطب ابن عبد العزى العامرىّ .

ولقد أوصل العراقى المؤرخ كتّابه عليه الصلاة والسلام إلى اثنين وأربعين كاتباً ، بل لقد ارتفع بهم الحَلَبىّ فى حواشى الشفا إلى ثلاثة وأربعين كاتباً . ولكن ما يشهد به كثير من المؤرخين هو أنهم لم يكونوا كلهم كتاب وحى ، وكان أكثرهم مداومة على كتابة الوحى هو زيد ابن ثابت كما قدمنا ، بل إنه كان يواظب على تحرير الرسائل الأخرى والأجوبة عن تلك الرسائل التى تصل النبى عليه الصلاة والسلام .

ديوان النبى

وهكذا نشأ (الديوان) ، وهو الموضع الذى يجلس فيه كتّاب الرسائل ، فلقد بدأ النبى عليه الصلاة والسلام يكاتب الأمراء وكان أمراء سراياه من الصحابه يتابعونه .

ولما رجع ﷺ من الحديبية كتب إلى الروم ، فقيل : إنهم لا يقرءون كتاباً إلا أن يكون مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه

ثلاثة أسطر : محمد سطر ورسول سطر والله سطر . وختم به الكتاب .

كذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام أول من أملى كتب العهود والمواثيق . ومنها عهده عليه الصلاة والسلام لنصارى (أيلة) القدس ؛ وكان بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فقد كان متخصصاً في كتابة المعاهدات .

وبدأ ديوان الكتاب في عهد النبي ينتظم ويتولى الرد على الرسائل الموجهة للنبي عليه الصلاة والسلام بلغات أجنبية : ومن ذلك ما روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه من أن رسول الله ﷺ قال : إنه تأتيني كتب ولا أحب أن يقرأها أحد . فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو قال السريانية . فقلت : نعم ، يارسول الله . فتعلمتها في سبع عشرة ليلة !

المترجمون

وجاء في (العمدة) للتلمساني أن زيد بن ثابت الأنصاري كان ترجمان رسول الله ﷺ بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية فضلاً عن السريانية والعبرية . وأنه تعلم دلك بالمدينة من أهل هذه الألسن .

وجاء في (العقد الفريد) لابن عبد ربّه : أن زيداً تعلم الفارسية من رسول كسرى ، والرومية من حاجب النبي ﷺ ، والحبشية من خادم النبي والقبطية من خادمته عليه الصلاة والسلام .

ميزات كتّاب النبيّ

وكتّاب رسائل النبي عليه الصلاة والسلام نماذج حية فى الأمانة والاستقامة والتقوى ، فكانوا موضع ثقته الكاملة : ومن ذلك ما رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير من أن رسول الله ﷺ استكتب عبد الله بن الأرقم ، فكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ، ويأمره بأن يطبعه ويختمه ولا يقرؤه لأمانته عنده .

ومما يروى أيضاً فى معرض أمانة الكتّاب وإخلاصهم المطلق للرسول الكريم ما ذكره البغويّ من أن مالكاً روى عن زيد بن أسلم عن ابن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : كتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً ، فقال اعبد الله بن الأرقم الزهرى : أجب هؤلاء عنى ؛ فأجابهم ، ثم جاء بما كَتَبَ يعرضه عليه (عليه الصلاة والسلام) فقال : أصبت فيما كتبت . قال عمر : فمازالت فى نفسى حتى جعلته على بيت المال !

وقصارانا هنا أن نشير فى إيجاز إلى أن كتّاب النبى الكريم كانوا يكتبون فى مجالات شتّى : فمنهم — كما قدمنا — كتّاب الوحى القدسىّ ، ومنهم كتّاب الرسائل إلى أمرائه وسراياه وبعوثه ، ومنهم كتّابه إذا عاهد

أو صالح ، ومنهم كتّاب حوائجه ومداييناته ومعاملاته ، ومنهم من كان يكتب أموال الصدقات وخرْص النخل [١] .

وهكذا كان ديوانه عليه الصلاة والسلام أول ديوان حافل فى الدولة الإسلامية ، وتقصى ذلك والإفاضة فيه يحتاج إلى أبحاث طوال .

---

(١) تقدير ما على النخل من الرطب تمراً .

أسلوب الرسائل النبوية

ولقد اشتهرت رسائله عليه الصلاة والسلام التى بعث بها إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام . وتمتاز هذه الرسائل النبوية الكريمة بأسلوبه الجامع المانع الموجز المحكم المضىء المبين عليه الصلاة والسلام .

ولقد فصّل القلقشندى الحديث عن رسائله عليه الصلاة والسلام فقال : إنه كان يفتح كتبه بعبارة (من محمد رسول الله) إلى فلان ، وربما افتتحها بلفظ (هذا كتاب) ، وقد يفتتحها بقوله : (أسلم أنت) .

وكان عليه الصلاة والسلام يصرّح باسم المرسل إليه فى أول رسالته ، وربما اكتفى بلقبه الذى اشتهر به (كالقيصر) مثلاً ، فإن كان المرسل إليه ملكاً كتب بعد ذكر اسمه (عظيم القوم) ، وربما كتب (صاحب مملكة كذا) ، وكان يعبر عن نفسه ﷺ فى ثنايا رسائله بلفظ المفرد مثل (إنى ، ولى ، وجاءنى ووفد علىّ .. وما أشبه ذلك) . وربما جاء بصيغة الجمع مثل (بلغنا وجاءنا ونحو ذلك) وكان يخاطب المرسل إليه بكاف الخطاب مثل لك وعليك وتاء المخاطب مثل أنت قلت كذا وكذا وجعلت كذا ، وعند التثنية يقول : إنهما ولكما وعليكما ؛ وعند الجمع بلفظه مثل : أنتم ولكم وعليكم وما أشبه ذلك .

وكان يبدأ رسائله بالسلام : فيقول فى خطاب المسلم : سلام عليك ؛ وربما قال : السلام على من اتبع الهدى ، وربما أسقط السلام فى صدر الخطاب . وكان يأتى فى صدر الرسالة ، بالتحميد بعد السلام فيقول إنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ وقد يأتى بعد التحميد بالتشهد ، وكان يخلص بعد ذلك إلى المقصود تارة (فأما بعد) وتارة بغيرها ، وكان يختم كتابه عليه الصلاة والسلام تارة فيقول فى خطاب المسلم : والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وربما اقتصر على السلام . ويقول فى خطاب الكافر : والسلام على من اتبع الهدى . وربما أسقط السلام فى آخر كتبه .

وكتبه عليه الصلاة والسلام إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام قد افتتحها على ثلاثة أساليب :

أولها أنه عليه الصلاة والسلام يبدأها بعبارة (من محمد رسول الله إلى فلان) .

وثانيها بأما بعد ؛ وثالثها أن يفتتح الرسالة بلفظ (هذا كتاب) . .

وكان من عادة كتاب رسائله الشريفة أن يذكروا أسماءهم آخرها لعلهم يرجون أن يكونوا شاهدين على صدورها منه عليه الصلاة والسلام .

وروى الشعبي أن رسول الله ﷺ كان يكتب كما تكتب قريش (باسمك اللهم) ثم نزلت عليه الآية الشريفة (اركبوا فيها باسم الله مجريها

ومرساها - سورة هود - ٤١) فكتب عليه الصلاة والسلام (باسم الله) حتى نزلت عليه آية : (قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن - الإسراء ١١٠) فكتب (باسم الله الرحمن) حتى نزلت عليه آية (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم - سورة النمل - ٣٠) فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) .

السبب فى إرسال الرسائل النبوية

قال ابن هشام فى سيرة النبى ﷺ :

حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهذلى قال :

بلغنى أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التى صد عنها يوم الحديبية ، فقال :

«أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة وكافة فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم» فقال أصحابه :

وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟

قال : «دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه» .

فأما من بعثه مَبْعَثاً قريباً فرضى وسلم .

وأما من بعثه مَبْعَثاً بعيداً فكره وجهه وَتَثَاقَل .

فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم لغة الأمة التى بعث إليها .

واستطرد ابن هشام قائلاً :

فبعث رسول الله ﷺ - إثر ذلك - رسلاً من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام :

فبعث دِحْيَة بن خليفة الكلبىّ إلى قيصر ملك الروم . وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك فارس ؛ وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب ابن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية . وبعث عمرو بن العاص السهمىّ إلى جيفر . وعياذ ابنى الجلندى الأزديين ملكىّ عمان . وبعث سليط بن عمرو إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علىّ ملكى اليمامة . وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين . وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام . . إلخ . . إلخ . .

السفير دِحْيَة الكلبىّ

وحامل رسالته عليه الصلاة والسلام إلى قيصر ملك الروم سفير من أعظم سفرائه ، وهو دحية الكلبىّ . وكان شاباً صادق الإيمان من الرعيل الأول الذى تخرج فى المدرسة المحمدية المثالية العليا . وكان جميل الصورة ، عظيم الذكاء ، وقيل فى وصف جماله : إن جبريل عليه السلام كان يفد على النبى عليه الصلاة والسلام فى مثل صورته .

وذكر السهيلىّ عن ابن سلام فى قوله تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو لهواً

انفضوا إليها)[١] فقال : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لفرط جماله !

وروى أنه كان إذا قدم إلى الشام لم تبق مخدّرة إلا خرجت لتنظر إليه !

ويقال : إن دحية كان أجمل أهل زمانه . وبلغ من أثر جماله فى الخلق أنه لما قدم المدينة واستقبله الناس ما رأته امرأة حامل إلا ألقت ما فى بطنها !

وذكر العينى فى (العمدة) أن دحية كان غالباً ما يمشى متلثماً خشية أن تُفتَن النساء به !

كيف وصل كتاب النبى إلى قيصر؟

قالَ ابن عباس رضى الله عنهما :

لما جاء كتاب النبىّ ﷺ إلى قيصر قال حين قرأه : التمسوا لى رجلاً من قومه أسأله عن رسول الله ﷺ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فأخبرنى أبو سفيان أنه كان بالشام رجال من قريش قدموا تجاراً . وذلك فى الفترة التى نشب فيها القتال بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين كفّار قريش . فأتانى رسول قيصر . فانطلق بى وبأصحابى . وأدخلنا عليه . فإذا هو جالس فى

(١) الجمعة/١١ .

مجلس ملكه عليه التاج ، وإذا حوله عظماء الروم ؛

فقال لترجمانه :

سلهم : أيّهم أقرب نسباً من هذا الرجل ؟

(يعنى النبى ﷺ) .

قلت : أنا

قال : وما قرابتك منه ؟

قلت : ابن عمى

(قال أبو سفيان : وليس فى الركب رجل من عبد مناف غيرى) .

فقال قيصر : ادنه منى !

ثم أمر بأصحابى فجعلوا خلف ظهرى : ثم قال لترجمانه :

قل لأصحابه : إنى سائل هذا عن هذا الرجل (يعنى رسول الله ، ﷺ) فإن كذبنى فكذبوه !

قال أبو سفيان : فوالله ، لولا الحياء يومئذ أن يؤثر عنى الكذب لكذبته حين سألنى ، ولكنى استحييت أن يؤثروا عنى الكذب ، فصدقته عنه .

ثم قال لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟

قلت : هو فينا ذو نسب !

قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟

قلت : لا .

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قلت : لا

قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟

قلت : لا

قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ ،

قلت : بل ضعفاؤهم !

قال : فيزيدون أم ينقصون ؟

قلت : بل يزيدون !

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطاً على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

قلت : لا

قال : فهل يغدر ؟

قلت : لا ، ونحن منه الآن على خلاف ونحن نخاف ذلك .

قال : فهل قاتلتموه وقاتلكم ؟

قلت : نعم .

قال : فكيف كانت حربه وحربكم ؟

قلت : كانت دولاً سجالاً ، يدال علينا المرّة ويدال عليه الأخرى .

قال : فبم يأمركم ؟

قلت : يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة والوفاء بالعهد

وأداء الأمانة !

قال أبو سفيان :

فقال قيصر لترجمانه :

قل له : إني سألتك عن نسبه فيكم ، فزعمت أنه ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها .

وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ، فزعمت : أنْ لا :

قلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يتأسى بقول قيل قبله !

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؛ فزعمت أنْ لا !

فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله !

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟

فزعمت أنْ لا ؛ فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه !

وسألتك : أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟

فزعمت أنّ ضعفاءهم اتبعوه ، والضعفاء هم أتباع الرسل !

وسألتك : هل يزيدون أو ينقصون ؟

فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم !

وسألتك : أيرتد أحد سخطاً على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

فزعمت أنْ لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل قاتلتموه وقاتلكم ؟

فزعمت أن قد فعل ، وأن حربه وحربكم تكون دولاً : يدال عليكم مرة ، وتدالون عليه الأخرى .

وكذلك الرسل تُبْتَلَى ، ثم تكون لها العاقبة !

وسألتك : بماذا يأمركم ؟

فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ، ويأمركم بالصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة ، وهذه صفات نبيّ قد كنت أعلم أنه خارج !

ولكن لم أظن أنه منكم ! وإن يكن حقاً ما قلت فيوشك هذا الرجل أن يملك موضع قدميّ هاتين ! والله لو أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه !

قال أبو سفيان :

ثم دعا قيصر بكتاب رسول الله ﷺ ، فأمر فقرئ ، فإذا به :

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

من محمد بن عبد الله ورسوله

إلى هرقل عظيم الروم ،

سلام على من اتبع الهدى . . .

أما بعد . .

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم . يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فعليك إثم الأريسيين (الفلاحين) .

(يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[١] .

حوار دحية مع قيصر !

وقال السهيلىّ فى الروض ص ٣٥٥ من الجزء الثانى :

لما قدم دحية على قيصر قال :

يا قيصر : أرسلنى من هو خير منك ، والذى أرسله هو خير منه ومنك . فاسمع بذُلٍّ ثم أجب تنصح ؛ فإنك إن لم تذلل لم تفهم . وإن لم تنصح لم تنصف .

قال قيصر : هات !

فقال دحية : هل تعلم أكان المسيح يصلّى ؟

قال : نعم !

قال دحية : فإنى أدعوك إلى من كان المسيح يصلى له ! وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح فىّ بطن أمه ، وأدعوك إلى هذا

(١) آل عمران / ٦٤ .

النبيّ الأميّ الذى بشر به موسى ، وبشر به عيسى ابن مريم ، وعندك من ذلك إثارة من علم تكفى عن العيان . فإن أحببت كانت لك الدنيا والآخرة ، وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت فى الدنيا ! واعلم أن لك رباً يقصم الجبابرة ويغير النِّعم !

فأخذ قيصر الكتاب ووضعه على عينيه ورأسه ، وقبّله وقبّل خاتم الرسول الكريم ، ثم قال :

أما والله ما تركت كتاباً إلا قرأته ولا عالماً إلا سألته ، فما رأيت إلا خيراً ، فأمهلنى حتى أنظر : من كان المسيح يصلى له ؟ فإنى أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غداً ما هوأحسن منه ، فأرجع عنه فيضرنى ذلك ولا ينفعنى ، أقم حتى أنظر !

وروى البخارى أنه لما تُلِيَ كتاب النبى عليه الصلاة والسلام على هرقل (قيصر) غضب ابن أخيه غضباً شديداً وقال : أرنى الكتاب !

قال قيصر : وما تصنع به ؟

قال ابن أخيه : إنه بدأ بنفسه ، وسماك صاحب الروم !

فقال قيصر :

والله إنك لضعيف الرأى ! تريد أن أرمى كتاب رجل أتاه الناموس الأكبر ! لئن كان رسول الله إنه أحق أن يبدأ بنفسه ، وقد صدق فأنا صاحب الروم !

ثم أمر قيصر بإكرام دحية الكلبى سفير رسول الله ﷺ .

والواقع أن البحث ليتشعب كثيراً لو حاولنا التوسع فى الحديث عن ذلك الحوار الشائق الذى دار بين رسل النبى عليه الصلاة والسلام والملوك والأمراء الذين أرسلوا إليهم : فعلى من يرغب فى ذلك التوسع أن يرجع إلى الجزء الثانى من كتاب (الروض) للسهيلى ففيه تفصيل الحوار البارع الذى أداره بتوفيق الله وهدايته أولئك الرسل الكرام الذين أوفدهم المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والأمراء والحكام الأجانب ، مما ينبغى أن يدرسه ويحققه ويعيه ويستوعبه كل الدارسين وطلاب المعرفة من المسلمين بل غيرهم ممن هم مهتمون بتدريب سفراء الغد ورجال السلك السياسىّ تدريباً قوياً من شأنه إطلاق المنطق السليم المستقيم من عقاله ، وإخراج الحجة الدامغة فى اللحظة الحاسمة لتكون فصل الخطاب !

أين رسالة النبي لقيصر اليوم ؟

وروى الحافظ السهيلىّ فى (الروض) ص ٣٢١ من الجزء الثانى أن (هرقل) قيصر وضع كتاب النبى ﷺ فى قصبة من ذهب تعظيماً له . وأنهم لا يزالون يتوارثونه كابراً عن كابر فى أرفع مِحْرَابٍ وأعز مكان حتى كان عند (أدمونش) الذى تغلب على (طليطلة) وما أخذ من بلاد الأندلس ، ثم كان عند ابن بِنْتِهِ المعروف بابن (السليطنة) .

وروى الشيخ عبد الحى الكتانى فى كتابه المعروف (نظام الحكومة النبوية) قول الحافظ بن حجر فى (فتح البارى) الأثر الذى أحدثه كلام السهيلى : وأنبأنا غير واحد عن القاضى نور الدين بن الصائغ الدمشقى أنّه قال : حدثنى سيف الدين فليح المنصورى ، قال : أرسلنى الملك المنصور قلاوون إلى ملك المغرب بهدية ، فأرسلنى ملك المغرب إلى ملك الفرنج فى شفاعة فقبلها ، وعرض علىّ الإقامة عنده ، فامتنعت ، فقال : لَأُتْحِفَنَّكَ بتحفة سنية . فأخرج لى صندوقاً مصبغاً بذهب ، فأخرج منه مقلمة من الذهب ، فأخرج منها كتاباً قد رأيت أكثر حروفه وقد التصقت على حرفه حريرة فقال : هذا كتاب نبيكم إلى جدى الأعلى (قيصر) وما زلنا نتوارثه إلى الآن ، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا

الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا ، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا !

ويعلق الشيخ عبد الحيّ الكتانى فى كتابه (نظام الحكومة النبوية) الجزء الأول على هذا بقوله : «ويؤيد هذا ما وقع فى حديث سعيد ابن أبى راشد من أن النبى ﷺ عرض على التنوخى رسول (هرقل) قيصر الدخول فى الإسلام فامتنع . فقال عليه الصلاة والسلام : يا أخا تنوخ ، إنى كتبت إلى ملككم بصحيفة فليمسكها . فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام فى العيش خير ! » .

وكذلك أخرج أبو عبيد فى كتاب (الأحوال) عن عمير ابن إسحاق ، قال :

كتب رسول الله ﷺ إلى قيصر وكسرى : فأما كسرى فلما قرأ الرسالة مزقها ، وأما قيصر فلما قرأها طواها ثم رفعها . فقال رسول الله ﷺ ، أما هؤلاء فيمزقون . وأما أولئك فستكون لهم بقية !

ويؤيد ذلك ما روى من أن النبى ﷺ لما جاءه جواب كسرى قال : مزّق الله ملكه ؛ ولما جاء جواب قيصر قال : ثَبَّتَ الله ملكه !

هذا وقد تواترت الأنباء منذ مدة أن أحد حكام العرب، قد اشترى الرسالة النبوية الكريمة التى كانت أرسلت إلى قيصر . ولاشك أن العالم الإسلامى يهمه كثيراً أن يكشف عن وجه الحقيقة فى هذا الأمر الجليل وأن يقطع الشك باليقين ! »

ولقد أفضت الحديث عن رسالة النبىّ عليه الصلاة والسلام إلى قيصر. والحق أن الكلام عن هذه الرسالة الشريفة وحدها يطول ويتشعب. ويمكن أن يكتب المرء عنه رسالة قائمة بذاتها ولضيق المقام نجتزئ بهذا الحديث المفصل عن هذه الرسالة الشريفة.

خاتم النبىّ

أشرنا فيما تقدم إلى أن النبىّ ﷺ كان يختم رسالته بخاتمه الشريف .

وفى ذلك يقول البخارى نقلاً عن أنس رضى الله عنهما : « إنه لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : لن يقرءوا كتابك إذا لم يكن محتوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة . ونقشه : (محمد رسول الله) فكأنما أنظر إلى بياضه فى يده ﷺ » . وعن أنس رضى الله عنه قوله كذلك :

كان خاتم النبى ﷺ (محمد — فى سطر ورسول فى سطر والله فى سطر وإنها كانت تقرأ من أسفل فصاعداً ليكون اسم الله فوق الجميع » .

وقال المهلّب ، كان عليه الصلاة والسلام لا يستغنى عن الختم به فى الكتب التى يبعثها إلى البلدان ، وفى أجوبة العمّال وقواد السرايا .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام أول من ختم الرسالة بخاتمه الشريف من قريش وأهل الحجاز . على ما رواه السيوطىّ .

صاحب خاتم النبى

وكان لخاتم النبي عليه الصلاة والسلام حافظ يطلق عليه اسم صاحب الخاتم ، ويحفظه عندما يخلعه عليه الصلاة والسلام .

وتقول بعض الروايات : إن صاحب خاتمه الشريف هو معيقب ابن أبى فاطمة ، وتقول روايات أخرى : إنه كان يعهد بخاتمه الشريف إلى حنظلة بن الربيع بن صيفى ابن أخى الكتم بن صيفى الأسدى .

نصوص الرسائل النبوية

١ – رسالة النبي إلى كسرى (١)

وجه النبي عليه الصلاة والسلام رسالة إلى كسرى عظيم الفرس وفيما يلي نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أنْ لا إله إلا الله وحده . لا شريك له . وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عزّ وجلّ . فإني رسول الله إلى الناس كلهم لأنذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين .

أسلم تسلم فإن توليت فعليك إثم المجوس . » .

وقد حمل هذا الكتاب العظيم إلى كسرى السفير النبوى الكريم عبد الله بن حذافة السهميّ ، فلما قرِئ على كسرى مزقه . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ . فقال كلمته الخالدة : مُزق ملكه !

(١) سبق أن أثبتنا فيما تقدم من الحديث نص الرسالة النبوية الشريفة إلى قيصر الروم .

وقد كان كما نطق النبى الكريم !

وروى فى كتاب الأموال لأبى عبيد عن عمير بن إسحاق ، قال : بعث رسول الله ﷺ رسالة إلى كسرى وأخرى إلى قيصر ، فلما قرأ كسرى الرسالة النبوية الشريفة مزقها ، ولما قرأ قيصر رسالته عليه الصلاة والسلام طواها ثم رفعها وحفظها ، فقال عليه الصلاة والسلام تعليقاً على هاتين الحادثتين :

أما هؤلاء (يعنى الفرس) فَيُمَزَّقُون ، وأما هؤلاء (يعنى الروم) فستكون لهم بقية !

وروى كذلك أنه لما جاءه عليه الصلاة والسلام جواب كسرى قال كما سبق أن ذكرنا :

– مُزِّق ملكه !

ولما جاءه جواب هرقل قيصر الروم قال :

– ثبت ملكه !

٢ – الرسالة النبوية إلى النجاشى

وكتب عليه الصلاة والسلام رسالة إلى النجاشى جاء فيها قوله الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة ، أما بعد فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ، ونفخه كما نفخ آدم بيده . وإنى أدعوك إلى الله وحده ، لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ؛ فإنى رسول الله ، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله تعالى ، وقد بلّغت ونصحت ، فاقبلوا نصحيتى .

وقد بعثت فيكم ابنَ عمى جعفراً ، ومعه نفر من المسلمين .

والسلام على من اتبع الهدى » .

وبعث عليه الصلاة والسلام كتابه الكريم مع عمرو بن أمية الضمرىّ .

فقال النجاشي عندما تلا الخطاب الشريف:

« أشهد بالله أنه النبي الأمي الذى ينتظره أهل الكتاب . وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل » !

جواب النجاشي على رسالة النبي

ثم كتب النجاشي جواب الكتاب الكريم إلى النبي ﷺ ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

«إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة» ،

سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، الله الذى لا إله إلا هو الذى هدانى للإسلام .

أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثغروقاً [1] إنه كما ذكرت .

وقد عرفنا ما بعثت به إلينا .

فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك . وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لرب العالمين .

وقد بعثت بابني ، وإن شئت أن آتيكَ بنفسي فعلت يا رسول الله .

---

(١) الثغروق هو ما بين النواة وقمع التمر.

فإنى أشهد أن ما تقوله حقّ .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

وقد أرسل ابنه مع ستين رجلاً فى إثر من أرسلهم مع جعفر ابن أبى طالب . فغرق ابنه ومن معه .

ووافى جعفر بن أبى طالب وأصحابه رسول الله ﷺ . وكانوا سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف . منهم اثنان وستون من الحبشة . وثمانية من أهل الشام .

فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس الكريمة إلى آخرها .

فبكوا حين سمعوا القرآن . وآمنوا . وقالوا :

– ما أشبه هذا بما كان أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام !

وفيهم نزل قول الله تعالى :

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحقّ ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)[١] .

---

(١) سورة المائدة / ٨٢ – ٨٣ .

٣ – رسالة النبى إلى المقوقس

وبعث النبي عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس . ملك مصر والإسكندرية . رسالة جاء فيها قوله التشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد عبد الله ورسوله ،
إلى المقوقس عظيم القبط ،
سلام على من اتبع الهدى ،
أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ،
يؤتك الله أجرك مرتين ،
فإن توليت ، فعليك إثم القبط ،

(يأهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) [١] .

وحمل الرسالة الشريفة السفير النبوى حاطب بن أبى بلتعة ، فأخذ المقوقس كتاب النبى ﷺ ، فوضعه فى حقّ من عاج ، ودفعه لجارية له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب إلى النبىّ ﷺ :

---

(١) آل عمران / ٦٤ .

نصّ جواب المقوقس

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله .

من مقوقس عظيم القبط .

أما بعد فقد قرأت كتابك . وفهمت ما ذكرته وما تدعو إليه .

وقد علمت أن نبياً بقي . وقد كنت أظن أن يخرج بالشام .

وقد أكرمت رسولك ،

وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم . وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام .

ولم يزد المقوقس على ذلك . ولم يسلم .

٤ – رسالة النبيّ إلى ملك البحرين

وكتب عليه الصلاة والسلام كتاباً إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين . يدعوه فيه إلى الإسلام . وبعث الكتاب الشريف مع سفير كريم هو العلاء بن الحضرميّ . فكتب المنذر بن ساوى إلى رسول الله ﷺ يقول :

(أما بعد يا رسول الله – فإنى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه وبأرضى يهود ومجوس . فأحدث إلىّ فى ذلك أمرك !) .

فكتب إليه الرسول الكريم ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد رسول الله ،

إلى المنذر بن ساوى ،

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،

أما بعد فإنى أذكرك الله عزّ وجلّ ، فإنه من ينصح

لنفسه . ومن يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ، ومن ينصح لهم فقد نصح لى .

وإن رسلى قد أثنوا عليك خيراً . وإنى قد شفعتك فى قومك . فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه .

وعفوت عن أهل الذنوب . فاقبل منهم . وإنك مهما تصلح فلن نعزلك من عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مسيحيته فعليه الجزية . » .

٥ – رسالة النبىّ إلى ملكى عمان

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى ملكى عمان رسالة بعث بها مع عمرو ابن العاص ، جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد عبد الله ورسوله ،

إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى ،

سلام على من اتبع الهدى ،

أما بعد فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام ،

أسلما تسلما ؛ فإنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلى تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما . » .

وكان الذى تولى تحرير هذه الرسالة الشريفة الصحابى الجليل أُبَىّ ابن كعب ، وختم الكتاب ، فأجابا بالإسلام .

وفى ذلك يقول عمرو بن العاص :

(وقد خليا بينى وبين الصدقة ، وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لى عوناً على من خالفنى !)

٦ – الرسالة النبوية إلى صاحب اليمامة

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى هوذة بن على صاحب اليمامة رسالة بعث بها مع سليط بن عمرو العامرى . وهى تجرى على النسق التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله

إلى هوذة بن على

سلام على من اتبع الهدى

واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر ،

فأسلم تسلم

وأجعل لك ما تحت يدك » .

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوماً أنزله منزلاً كريماً وحياه وقرأ عليه الكتاب .

وكتب إلى النبى ﷺ يقول :

« ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ! والعرب تهاب مكانى ، فاجعل لى بعض الأمر أتبعك » .

وأجاز سليطاً مبعوث النبي الكريم بجائزة . وكساه أثواباً من نسج هجر . فقدم بذلك على النبي ﷺ . وقرأ خطابه .

فقال النبي ﷺ :

– لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت !

باد وباد ما فى يده !

فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاء جبريل عليه السلام فقال :

إن هوذة قد مات !

فقال النبي ﷺ .

– أما اليمامة فسيظهر بها كذّاب يتنبأ . ويقتل بعدى ! فكان كذلك !

٧ – رسالة النبي إلى الحارث ابن أبي شمر الغسّاني

وكتب ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني وكان بغوطة دمشق :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله .

إلى الحارث بن أبي شمر .

«سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله وصدّق .

وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » .

وأرسل النبي الكريم رسالته الشريفة مع شجاع بن وهب ، فلم يسلم الحارث . فقال عليه الصلاة والسلام :

– باد وباد ملكه !

وقد كان !

٨ – رسالة النبي إلى تميم بن أوس الدارىّ

وقدم على النبىّ ﷺ تميم بن أوس الدارىّ فى ستة نفر من الداريين فأسلموا جميعاً . وسألوه . ﷺ أن يعطيهم أرضاً من أرض الشام . فأعطاهم إياها . وكتب لهم فى ذلك كتاباً شريفاً فحواه كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب ذُكِر فيه ما وهب محمد ﷺ للداريين إذا أعطاه الله الأرض ، وهبَ لهم بيت عينون وحبرون والمرطون وبيت إبراهيم ومن فيهم إلى أبد الأبد » .

وشهد على هذه الرسالة الجليلة عباس بن عبد المطلب عمّ النبىّ وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وهو الذى تولى كتابة الرسالة .

ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام :

– انصرفوا حتى تسمعوا أنى هاجرت (أى رجعت إلى المدينة) ؛ لأن قدومهم كان عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك . فلما رجع ﷺ إلى المدينة قدموا عليه ؛ فسألوه أن يجدد لهم كتاباً آخر . فكتب كتاباً فيما يلى نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما أعطى [١] محمد رسول الله تميماً الدارى وأصحابه :

إنى قد أعطيتهم بيت عين وحبرون والمرطون وبيت إبراهيم برمتها وجميع ما فيها عطية بتّ ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد ؛ فمن آذاهم فيه آذاه الله » .

وشهد على هذه الرسالة النبوية أبو بكر بن أبى قحافة وعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب : أى الخلفاء الراشدون جميعاً ؛ وكان على رضى الله عنه هو الذى تولى تحرير الرسالة بخطه ؛ فقد كان من كبار كتاب النبى ﷺ .

والحديث عن هذه الرسالة يطول وكذلك شرح ظروفها ويمكن الرجوع إلى كتاب (نظام الحكومة النبوية) لمؤلفه الشيخ عبد الحىّ الكتانى المغربى ، للوقوف على تفاصيل تلك الروايات المختلفة .

---

(١) فى معظم الروايات وردت (أنطى) بمعنى أناط ووهب وأعطى – وقد وردت الرسالة بأساليب مختلفة .

٩ – رسالة النبى إلى صاحب أيلة (بيت المقدس)

وكتب عليه الصلاة والسلام ليوحنا بن رؤية . صاحبَ أيلة (بيت المقدس) لمّا أتاه بتبوك . وصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه أمنة (أى أمان) من الله . ومحمد النبى رسول الله ليوحنا بن رؤية وأهل أيلة ، أساقفتهم وسيارتهم فى البر والبحر – لهم ذمّة الله وذمّة النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر . فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه . وأنه طيّب لمن أخذه من الناس . وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه . ولا طريقاً يريدونه من برّ أو بحر) .

١٠ - رسالة النبى إلى أهل جرباء وأذرح

وكتب ﷺ لأهل جرباء وأذرح لما أتوه بتبوك وأعطوه الجزية :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لأهل جرباء وأذرح
إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد .

وإن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين فى المخافة) .

١١ – رسالة النبي إلى ابن ضميرة

(من محمد رسول الله لابن ضميرة وأهل بيته : إن رسول الله ﷺ أعتقهم ، وإنهم أهل بيت من العرب ، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله ﷺ ، وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم ، فلا يعرض لهم إلاَّ بحقّ . ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً) .

وكانت هذه الرسالة بخط أُبيّ بن كعب كاتب الرسول الكريم .

صور سريعة :

سفراؤه
عليه الصلاة والسلام

فى ثنايا حديثنا عن رسائله عليه الصلاة والسلام ذكرنا بعض أسماء رسله أو سفرائه وقد كان عليه الصلاة والسلام يختارهم بنفسه من بين صحابته الأقربين .

وكانوا جميعاً من الشباب المؤمنين الذين يكفيهم شرفاً وفخاراً أن يكونوا من صنع النبى الأعظم عليه الصلاة والسلام .

كانوا يتحلون بالسجايا الكريمة والخصال الشريفة وجمال الصورة ونقاء السريرة . فضلاً عن توقد الذكاء واللماحية التفافة والبديهة الحاضرة والحجة الباهرة . ولا غرو فهم يمثلون ذلك الرعيل الأول من تلك المدرسة الإلهية العظمى التى غزت الدنيا بأسرها فى أعوام معدودات . وحققت النصر المبين لدين الله القويم الذى انتشر فى الآفاق انتشار النار فى الهشيم ، وغيّر وجه الدنيا بأسرها ، وكتب التاريخ البشرى من جديد كتابة أذهلت العالم . وطبعت الحضارة بالطابع المحمدى العظيم فى بضع سنين .

أول السفراء

عمرو بن أمية الضمرى

وكان أول سفرائه عليه الصلاة والسلام هو عمرو بن أمية الضمرى . وقد سبق أن أوردنا أنه أرسل إلى النجاشى ملك الحبشة الذى استجاب لدعوة الإسلام .

السفير دِحْيَة الكلبى

ثم بعث عليه الصلاة والسلام دِحْيَة بن خليفة الكلبى إلى قيصر كما قدمنا ، وكان شاباً جميل الصورة والخلق ، إلى درجة جعلت الناس يروون عنه القصص والأساطير . فقد قيل مثلاً إن النساء الحوامل كن يجهضن بمجرد رؤيتهن له وهو يمشى فى الطريق ، وذلك لفرط جماله !

وقيل : إن النبى ذكر فى بعض أحاديثه الشريفة أن دحية كان قريب الشبه بالصورة التى كان يبدو عليها جبريل كلما ظهر للنبى الكريم .

ولقد كان لجمال دحية أثر عظيم فى نفس قيصر وحاشيته عندما قدم عليهم حاملاً رسالة النبى الكريم ، فضلاً عن رجاحة عقله وسرعة بديهته وهيبته الشخصية الطاغية .

السفيران عبد الله السهمى . . .
. . . وحاطب بن أبى بلتعة

وهذا الكلام ينصرف وينطبق على عبد الله السهمى الذى أوفده عليه الصلاة والسلام إلى كسرى ، وحاطب بن أبى بلتعة رسوله إلى المقوقس .

وكان عبد الله السهمى القرشى من صحابة النبى الكريم ، وكانوا يلقبونه بالمبرق وروى عنه أنه قال :

إذا أنــا لم أبــرق فلا يسعنّنى
من الأرض برٌ أو فضاءٌ ولا بحرُ

وتقول بعض الروايات إنه قتل باليمامة ، وتفيد روايات أخرى أنه قتل بالطائف .

أما حاطب بن أبى بلتعة اللخمى فهو صحابى شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ وكان من أشد الرماة فى الصحابة ، وكانت له تجارة واسعة ، وقد بعثه النبى عليه السلام برسالته الخالدة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ومات بالمدينة المنورة وكان أحد فرسان قريش وشعرائها فى الجاهلية .

فريق من أمجد السفراء

وأوفد عليه الصلاة والسلام شجاع بن وهب إلى ملك البلقاء الحارث بن أبي شمر الغسانى وسليط بن عمرو العامرىّ إلى هوذة وثمامة ابنى أثال الحنفى .

كما أرسل عليه الصلاة والسلام عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى بعمان ، وأوفد العلاء الحضرمى إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وبعث عليه الصلاة والسلام المهاجر بن أبي أمية المخزومى إلى الحارث بن عبد كلال الحميرى باليمن . كذلك أوفد عليه الصلاة والسلام أبا موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل إلى اليمن وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك . ثم أوفد إلى اليمن كذلك علىّ ابنَ أبي طالب كرم الله وجهه .

كما أوفد جريرَ بنَ عبد الله البجلى إلى ذى كراع وعمرو بن أمية الضمرى إلى مسيلمة الكذاب .

وبعث عليه الصلاة والسلام إلى فروة بن عمرو الجذامىّ ، وكان عاملاً لقيصر فى مُعان يدعوه إلى سلام ، فأسلم وكتب إلى النبى ﷺ بإسلامه وبعث إليه بهدية مع مسعود بن سعد . وهى بغلة شهباء يقال لها

فضة . وفرس يقال لها الظَّرب ، وحمار يقال له يعفور ، وبعث كذلك أثواباً وقباء سندسيًّا مذهباً فقبلت هديته . ووهب لمسعود اثنتى عشرة أوقية .

* * *

تلك صورة سريعة لبعض سفراء النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ومنها يتجلى لنا بما لا يقبل الشك أو المناقشة أنه عليه السلام كان أول من أوفد السفراء فوق العادة ، يحملون الرسائل الكريمة . ممهورة بخاتمه الشريف الذى سبق أن أشرنا إلى أنه كان يتألف من ثلاثة سطور فى أحدها محمد . وفى الثانى رسول . وفى الثالث اسم الله : وهو أعلى هذه السطور الثلاثة .

وأعتقد أن التاريخ البشرى الذى حفظ لنا أسماء بعض الملوك والقادة وأسماء من بعثوا من الرسل يحملون من قبلهم رسائلهم لغيرهم من الأمم — لم يسجل لنا وبهذه الصورة الرائعة الآسرة نصوص تلك الرسائل . كما فعل مع الرسائل النبوية الشريفة الخالدة التى شاء الله العلى القدير أن تبقى ثابتة متواترة على مدى الدهور خالدة بنصها وروحها فى ثنايا السطور الباهرة وفى أعماق القلوب الواعية الذاكرة !

صور سريعة :

كتّاب النبىّ

عليه الصلاة والسلام

لا شك أن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين . هم طليعة كتّاب النبي ﷺ . ويليهم الكثير من صحابته . من المهاجرين والأنصار .

وسنحاول فى السطور التالية أن نثبت فى عبارة موجزة بعض المعلومات المختصرة عن المشهورين من كتّابه عليه السلام . مستثنين من ذلك البيان الخلفاء الأربعة الراشدين .

١ - أبىّ بن كعب :

يعتبره المؤرخون من أعلم الصحابة بكتاب الله الكريم . وهو من أسبق الناس إلى الإسلام وأجودهم تلاوة للقرآن .

وروى أن النبى عليه السلام قال له :

- إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن .

فقال أُبَىّ :

– الله سمّاني لك ؟

فقال النبي عليه السلام :

– الله سمّاك لى !

فانطلق أبيّ باكياً !

وهو من أشهر كتاب النبي وأرسخهم قدماً . وكان هو أول من كتب لرسول الله ﷺ عندما قدم المدينة المنورة .

وهو من الأنصار . وَيَنْتَمِى لبيت بنى النجار .

٢ – الزبير بن العوام :

هو ابن عمة رسول الله وحواريه ، أسلم وهو حدث ابن ثمانى سنين .

وكان قد أشيع أن النبي عليه السلام قد أخذه الكفار ، وذهبوا به إلى أعلى مكة ، فخرج الزبير – وهو ابن اثنتى عشرة سنة – وقد شهر سيفه فلما رآه النبي عليه السلام قال له :

– مالك يا زبير؟

فقال :

– أتيت أضرب بسيفى من أخذك !

وفى يوم بدر كان مع رسول الله فارسان : الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة .

وأعطاه النبي عليه السلام لواء سعد بن عبادة يوم فتح مكة ، فدخل

الزبير مكة بلواءين ، ثم اشترك فى جميع الغزوات التى غزاها رسول الله ﷺ .

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة . وعنه قال النبى عليه السلام : « لكل نبى حوارى وحوارى الزبير ! » .

٣- زيد بن ثابت :

وهو من الأنصار ، كان فى الحادية عشرة من عمره عندما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة .

وفى أول لقاء له مع النبى الكريم قرأ عليه القرآن ؛ وكان قد حفظ منه سبع عشرة سورة فأعجب النبى بتلاوته .

وهو - إلى جانب حفظه للقرآن - من كتّاب الوحى .

كما أمره النبى العظيم بتعلم اللغة العبرانية فأجادها وأتقنها فى أسبوعين ، وكان يكتب رسائل النبى إلى اليهود بتلك اللغة ، وينقل له عليه السلام ما يأتيه من رسائلهم ؛ كما كان يكتب رسائل النبى إلى الملوك .

وكان الرسول الكريم يستدعيه لكتابة القرآن ، وروى البراء ابن عازب أنه لما نزلت الآية الكريمة :

(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله) (١) .

---

(١) النساء/٩٥ .

قال النبي ﷺ «ادع لى زيداً . وليجئْ باللوح والدواة والكتف» .

ولقد جمع زيد القرآن مع آخرين ونسخ المصاحف المعروفة فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ ولذلك فهو ورفاقه لهم بهذه الميزة فضل عظيم على الأمة الإسلامية إلى يوم الدين رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

٤ — شرحبيل بن حسنة :

من المسلمين الأوائل ومن الذين هاجروا إلى الحبشة .

وقد سيَّره أبو بكر فى فتوح الشام ثم ولاّه عمر على ربع من أرباع الشام .

وهو من أهم كتاب النبىّ الكريم بإجماع المؤرخين ، بل إن كثيراً منهم يقولون : إنه أول من كتب لرسول الله ﷺ .

وقد وفد الداريون من الشام على رسول الله ﷺ مرة قبل الهجرة ومرة بعدها ، وفى المرة الأولى سألوا رسول الله ﷺ أرضاً فدعا بقطعة من أدم ، وكتب لهم كتاباً ، كان كاتبه شرحبيل بن حسنة .

٥ — عامر بن فهيرة :

من أوائل المسلمين الذين تلقوا الإسلام عن النبى عليه الصلاة والسلام . وكان عبداً مملوكاً للطفيل بن سخيرة .

وهو من أولئك الذين نالهم العذاب الشديد الرهيب لدخولهم فى

الإسلام . فسما بذلك التعذيب سمواً عظيماً .

وقد اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه . وبذلك زال عنه الكرب والهوان .

ومن المعروف عنه أنه عندما اعتصم النبي الكريم بغار ثور هو وصاحبه الصديق – كان عامر يتوجه إلى الغار بالغنم التي كان يرعاها . فيحتلبها الرسول الكريم وصفيه الصديق .

ومن مفاخره التي يشدو بها الزمان أنه رافق رسول الله وصفيه الصديق في الهجرة إلى المدينة .

وهو من أبطال معركة بدر الخالدة .

وكان له شرف كتابة رسالة الأمان لسراقة بن مالك بأمر من رسول الله ﷺ وفي ذلك روى عن سراقة قوله :

– إني سألت رسول الله ﷺ أن يكتب لي كتاب موادعة آمن به .

فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أديم !

٦ – عبد الله بن الأرقم :

قد أجمع المؤرخون الثقات وفي طليعتهم البخاري والطبري وابن إسحاق أنه من كتّاب النبي ﷺ .

ومما يروى عنه أن كتاباً ورد على النبي ﷺ فقال :

– من يجيب عني ؟

فقال عبد الله بن الأرقم :

– أنا يا رسول الله .

فأجاب عنه .

وعرض كتابه على الرسول الكريم فقال :

– أصبت وأحسنت . اللهم وفقه !

فقال عمر ، وما زال استحسان الرسول الكريم لرده فى نفسى حتى جعلته على بيت المال .

٧ – **عبد الله بن رواحة :**

وكان شاعراً مجيداً يعرف القراءة والكتابة منذ الجاهلية ، وهو من شعراء النبى الكريم ، وروى ثابت عن أنس بن مالك أن النبى عندما دخل مكة فى عمرة القضاء – كان ابن رواحة بين يديه فيقول :

خلّوا – بنى الكفّار – عن سبيله
نحن ضربناكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله !

فقال عمر بن الخطاب :

يا بن رواحة ، أفى حرم الله وبين يدى رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر !

فقال النبى الكريم :

– خلّ عنه يا عمر ، فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل ! وهو من كتّاب النبى الكريم بإجماع المؤرخين . .

٨ – عمرو بن العاص :

وهو من دهاة العرب وفرسانهم وقد هاجر إلى المدينة وبايع النبى الكريم .

وقد اشتهر فى السياسة والحرب ، وفتح مصر زمن عمر بن الخطاب .

وعندما تولى عثمان بن عفان لم يلبث أن عزله عن مصر ، فانضم إلى معاوية فى حربه ضد علىّ كرم الله وجهه ، وعندما استتب الأمر لمعاوية أعاده أميراً على مصر مرة أخرى .

وهو من كتّاب النبى عليه الصلاة والسلام .

٩ – معاذ بن جبل :

كان من أصبح الصحابة وجهاً ، طويل القامة حسن الشعر ، جميل العينين .

وهو من السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار .

وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن مسعود .

شهد المعارك النبوية كلها . وجمع القرآن فى عهد النبى الكريم ،

وقال عنه رسول الله ﷺ :

«خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد ، ومعاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ، وسالم مولى ابن حذيفة .

وكذلك قال عنه النبي الكريم :

«أَعْلَمُهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» .

١٠ – معيقب بن أبي فاطمة الدوسي :

من المسلمين الأوائل فى مكة . ومن مهاجرى المسلمين إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ثم قدم على النبى الكريم فى المدينة المنورة ، وشهد بيعة الرضوان وما بعدها من المشاهد .

وكان هو حامل خاتم رسول الله ﷺ .

وقد استعمله الشيخانِ . أبو بكر الصديق وعمر على بيت المال .

وهو من كتّاب النبى ﷺ كما أكد جمهرة المؤرخين .

* * *

نجتزئ بهذا البيان عن طائفة من كتاب النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكر القرطبي فى تفسيره أن عددهم ستة وعشرون كاتباً ، وأوصلهم العراقى إلى اثنين وأربعين كاتباً ، ونظم ذلك فى أرجوزة لطيفة معروفة .

الكتاب القادم

ساعة مع القرآن العظيم

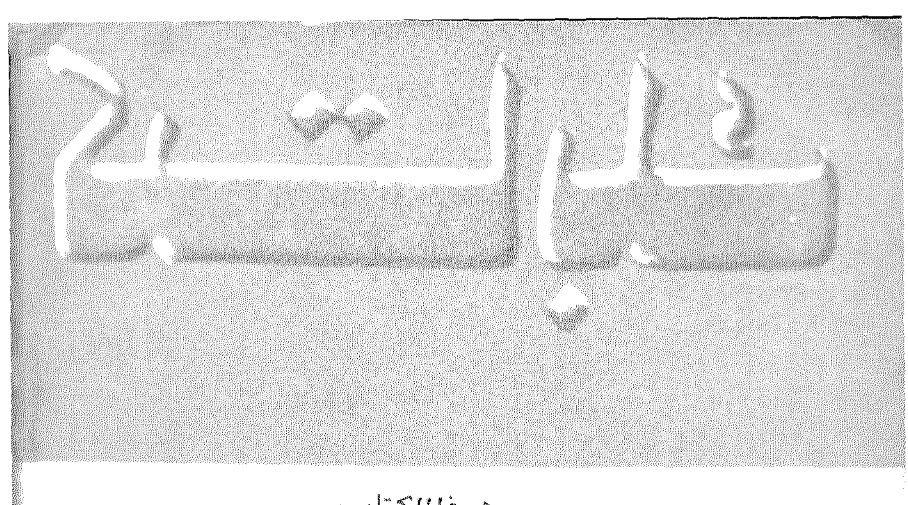
د . عبد العظيم المطعنى

رقم الإيداع	١٩٧٨/٥٢٩٠
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٥٣٥ – ٥٣٥ – ٩

١/٧٨/٢٧٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)





هذا الكتاب

كانت الرسائل النبوية الشريفة طليعة الدعوة الإسلامية التى سرعان ما ملأت أرجاء الدنيا، وكتبت للإسلام النصر المبين.

وهذا الكتاب يتناول تلك الرسائل وأولئك السفراء والكتّاب أيام الرسول الكريم، بما يجعل الإسلام يقف أمام عظمة أية تنظيمات حديثة موقف الريادة والسبق والإبهار.